المصطلح الإشاري وأثـره في تفكيك الخطاب التّشفيري للنّص القرآني

–نماذج تطبيقيّة –

The indicative term and its effect on deconstructing the encrypting discourse of the Qur'an text - Practical Models -

د. العصفورة بوتوشنت

جامعة البليدة 2– الجزائر. **lasfouraboutouchent@gmail.com**

تاريخ الارسال2021/02/04.	تاريخ القبول20 /2021/05.	تاريخ النشر2021/12/15.

الملخص

تعدّدت الأبحاث عن القرآن الكريم في رحاب وعائها اللّغوي العربي؛ تفسيرا وتأويلا، إذ أنّه بمجرّد اكتمال الذّكر بين الدّفتّين، انبرى جمّ غفير من علماء الإسلام للبحث والتّبيان وعلى امتداد حقب متتالية، فكان من جرّاء ذلكم التّناول أن تعدّدت المفاهيم وتنوّعت التّفاسير، حتى صار للآية الواحدة مذاهب عدّة في استصدار الأحكام، ولقد كان لهؤلاء الأئمة – في اضطلاعهم– في الدّرس القرآني منهجهم الخاص، الذي يقوم على استخلاص المعنى وصرف المقاصد واستنباط الأحكام، بدءا بالحرف في الكلمة وصولا إلى الكلمة في بنية التّركيب، انتهاء بالجملة في نسيج النّص،

Abstract

There are numerous studies on the Noble Qur'an in its Arabic linguistic container. An interpretation, since as soon as the dhikr was completed between the two shrouds, a large crowd of Islamic scholars set out to research and clarify over the course of successive periods. As a result of that approach, the concepts and interpretations varied, until the existing verse acquired several doctrines in issuing judgments, and these imams had - at They carry out - in the Qur'anic lesson their own curriculum, which is based on extracting the meaning, deconstructing the objectives and

جاعلين منها منهجا يسترشدون بها في اقتفاء أثر المعاني الظّاهرة والخفيّة، متوسّلين باللّفظ مفتاحا لمغاليق النّص.		*deducing rulings, starting with the letter in the word and ending with the word in the structure of the composition. The sentence in the texture of the text, making it a method that guides them in tracing the visible and hidden meanings, invoking the phoneme as a key to the closing of the text.*
كلمات مفتاحية: إيحاء؛ دلالة؛ نص قرآني، تمثيل سيمائي، المعاني.		**Key words:** , suggestin, connotation, Quranic text, Sima'i representation, meanings.

المؤلف المرسل: العصفورة بوتوشنت – الإيميل: .lasfouraboutouchent@gmail.com

.مقدمة:

لقد ظلّت "كلمة ربّك" بنسيجها المعجز، ومرصوفتها اللّغوية الدّقيقة مفتاحا إلى مغاليق النّص المقدّس، بها تُسبر أغوار المعاني، ويُعرف كُنهُ المقاصد ومدلولاته بما يوافق مُراد اللّه وخطابه السّامي إلى الخليقة؛ من هنا يأتي مقالنا لبيان هذا النّص، من خلال رؤية في المصطلح والمعنى، لاسيما في تمثيليّة هذا المصطلح السّيمائية والدّلالية. إذ وَقْفتُنا في أحايين كثيرة وفي أثناء تدبّرنا لهذه النّصوص، قد يستشكل علينا الأمر أمام كلمة داخل، هي بالضّرورة مفتاح إلى المعنى العام لهذا النّص، ولقد بان لنا أنّ الباري ينتقي بعلم وإحاطة بعضا من الألفاظ نراها إشارية تمثّل صورة سيميائية أو تصريفا دلاليا خالصا، نزعم أنّه خاطب بها الخليقة في التّنزيل من منطلقات تخضع للتّنزيه بما يليق بجلاله، أو لعلامة فارقة بما

يوافق مقدوره، أو لوصف دقيق أو لإظهار خبيئة نفس... وإلى ما هنالك من مراده تبارك وتعالى في خطابه السّامي إلى خلقه.

1.وضع اللّفظ من تنزّه ربّانيّ:

1.1 صورة سيمائية للاستتار:

ففي دلالة اللّفظ على التّنزه الرّباني: نجد الخالق تبارك اسمه ينزّه ذاته العلية عن التّلفظ بألفاظ هي من خصوصيات ومعتلجات النّفس البشرية في وصف حالة أو ذكر دالٍ أو كشـف مدلول، ففي قولـه تعالى:« ... **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**»[1]، ينصرف الفهم البشري إلى لفـظة (الغائط) على قصد يخصّ فضلات الإنسان، فقد جُبلت النّفس البشرية على أن تأنف من الكلمة بمجرد الذّكر إلّا ما كان في مقام السّباب بين الناس، والحقّ أنّ الباري سبحانه وتعالى تنزّه عن قول مثلها، فمدلول الكلمة منصرف قطعا إلى ما يتوارى خلفه صاحب الحاجة جاء في اللّسان عنها:« **المطمئن من الأرض الواسع، كان الرجل إذا أراد التّبرّز ارتاد غائطا من الأرض يغيب فيه عن أعين الناس**»[2]، فهي مغيّب لا أكثر قد يكون تلّة أو تداخل شجر، أُوثر عن الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) قـوله: "**تنزل أمتي بغائط يسـمونه البصرة** "[3]، في إشارة إلى مدينة البصرة العراقية المعروفة بموقعها على مصبّ دجلة والفرات وكثرة نبتها ونخيلها، بيد أنّ اللّفظ انزاح دلاليا وفق مراد البشر وليس من قول منزّل الذّكر المتنزّه عنها .

2.1 لفظ مصروف إلى استدلال عقليّ:

هذا التّنزه الرّباني في اختيار اللّفظ لأداء المعنى نلمسه في آية أخرى ولنفس القصد، وذلـك في قوله تعالى:« **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**»[4]، وذلك في مقام بيان بشرية المسيح وأمّه اللّذين يؤلّههما النّصارى، إنّ المتأمّل في عبارة (يأكلان الطعام...) قد يستغربها البعض وهي واردة في النّص القرآني على اعتبار أنها بديهة، فكلّ البشر من لدن آدم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها في حاجة إلى

الطّعام يعتاشون عليه للبقاء، ولكن في ثنايا ألفاظ التركيب إحالة إلى ما يعتري البشر بعد تناول الطعام؛ ألا وهو قضاء الحاجة (الحدث).

إنّنا نرى أنّ ربنّا ترّفع من تنزّه عن ذكر تلكم الكلمة المؤتنَفة نفسيا واستعاض عنها بأكل الطعام في إيحاء يحرّك العقل ويُعمِله لإفهام العباد أنّ الإله لا يغتاط إذ ليس «كمثله شيء» فما البال في تماثله مع البشر. فكان الخطاب على ذلكم إشاريا، تُرك فيه المجال للعقل البشري للخَلوص إلى مراد الله من ثنايا نسيج لغة النّص.

2- كلمة لرسم صورة نمطّية:

1.2 صورة سيمائيّة لنماذج بشرية متكرّرة:

قد يظنّ البعض أنّ سورة المسد نزلت بوعيد في حقّ عم الرّسول صلى الله عليه وسلم، عبد العُزّى بن عبد المطلب الشّهير بأبي لهب وزوجـته أم جميل المعروفة قرآنيا بحمّالة الحطب، وأنّها انتهت وأضحت خبرا من غابر الأزمنة لقصّة زوجين عـاديا الإسلام وآذيا صـاحب الرّسالة، وانتهى الخبر عنهما في حينه، بيد أنّ مقتضى الإيمان بديمومة الرّسالة، يلزمنا التّسليم بأنّ القرآن يحلّق فوق الأزمنة وأنّ آياته تصلح لكلّ الأزمنة والأمكنة، تتكرّر معها النّماذج البشرية المماثلة في كلّ وسط؛ فهل كانت عبارة " أبو لهب" إشارية لصاحب كلّ عدوانية من ورائه امرأة محرّضة على العدوان وأنّها لا تعدو في مدلول اللّفظ سوى مهمازا ،مضرمة للغضب، قد نلمس في معاشنا اليومي وفي أوساطنا المجتمعية نماذج لشخص عنيف يُذكر على الألسنة أنّ وراء عنفه امرأة محرّضة وقّادةً للحطب ...!!

جاء في لسان العرب:" **التهب عليه، غضب وتحرّق** "[5]، وفي الصّحاح" **ألهبت النّار لسانها وتلهّبت " أي اتقدت** [6]. فاللّهب بهذا التّوصيف صورة سيمائية للغضب في طبائع البشر، من ثم جاء أبو لهب وزوجته مثالا متكرّرا في كلّ حقبة ومع كلّ وسط مجتمعي، وهل يكون القصاص الربّاني بالضّرب على اليدين لمثليهما إشارة إلى أداتي العدوان لكفّهما عن فعلهما العنيف...؟

2.2 إشارة إلى علامة فارقة:

نقف في الثالثة على خبر نبي الله يونس عليه السلام ونقرأ قوله تعالى:«**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**» (7)، في الآية نعَت البارئ عزّ وجلّ نبيه يونس بذي النون في تسمية متفردة ملفتة، ففي التيسير للسّعدي (**يونس صاحب الحوت**)[8]، وفي الفتح القدير للشّوكاني:(**لقّب ذا النّون لابتلاع الحوت له فإن النون من أسماء الحوت**)[9]، إنّها لعلامة فارقة لهذا الرّجل الكبير جاءت لتميّزه عن الخلق إذ لم يسبق بين بني البشر وأنّ حوتا ابتلع إنسانا ثمّ لفظه والشّائع أنّ الحوت يفترس الجثث بأول ابتلاع لها.

إنّنا نرى أنّ الحقّ سبحانه وتعالى جعل من يونس علامة فارقة تميّزه بحادثة الحوت لدلالة واحدة هي أنّه حدث خارق وسابقة وقعت ولن تتكرّر البتة، وإن حدث بعده فسيجعل المشكّكين من الملاحدة يطعنون في إعجازيتها وأنّها لا تعدو أن تكون حدثا عابرا قابلا للحدوث، فذا النون ـ على هذا نبيّ الله يونس الذي شملته رحمة من الله لن يتكرّر مثله في واقعة الحوت، فهي خاصية لصيقة به وحده. وصورة سيمائية لناج من حوت مهلك؛في وضعية تترك اللّبيب حيران.ثمّ نتمعّن في لفظ آخر في نسق الآية حيث نلمس من قول الله تعالى« مغاضبا » الاشتراك في الغضب المتبادل بين يونس وقومه إذ أنّ اسم الفاعل مغاضب مُصاغ من الفعل المزيد «غاضب» بدلالة ألف الاشتراك، وفي ذلك إشارة الى انفصام العرُى بين نبي الله يونس وقومه، وفي قوله تعالى: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ »[10]، نلمس أنّ الظّن ذهب إلى التّضييق لا إلى إنكار القدرة، فلفظة نقدر من الفعل (قدَر) بفتح الدّال من القدر لا (قدِر) بكسر الدّال وفي استغفاره عليه السّلام حين قال:« إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين»[11]، فلا ينصرف الذّهن إلى اعتراف النّبي بالخطيئة وكأنّه عليه السّلام يشعر في نفسه بوخز الضّمير الجمعي واللّحظة تبرأت منهم «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .»[12]

2–3– دلالة على التّمجيص:

في واحدة من أمجاد النّصر التي حازها الموحّدون ، يقصّ علينا القرآن خبر القائد العسكري المؤمن والبارز طالوت في مسيره لقتال قوات الكفر بقيادة جالوت نقف على اشتراط للقائد المؤمن على جنوده بأن يمتنعوا عن الشّرب في لفتة من القائد لاختبار مدى جدّية وانضباط الجند، قال تعالى على لسان

طالوت: « **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**»[13]. يستشف من سياق الآية أنّ طالوت أراد توحيد جنوده في فسطاط واحد، فلجأ إلى هذا الاشتراط الممض ليميّز صدق الأتباع (فليس منّي ـ فإنّه منّي) ثمّ نلمس في اللّفظ :" إلّا من اغترف غرفة بيده " إشفاقا على هؤلاء الجند من أن يصيبهم الضّعف جراء العطش، إنّ الآية تضع بين يدي كلّ قائد عسكري نمطا من الإعداد النّفسي الذي لا يقلّ أهمية عن الإعداد البدني إن لم يسبقه، ونجده يتلخّص في ثلاث (وحدة الجيش، طاعة القائد، الاقتصاد في الإنفاق على النفس) ومن ثمّ جاءت متتالية المعنى في صيغة النّفي(ليس مني) وفي مقام نفي الفرقة وتأكـيد الوحدة (إنّه منّي)، ثمّ أعقبه استثناء للحالات الخاصة وسط القوات(إلّا من اغترف غرفة بيده).

اللّافت في الخبر أنّ القائد المؤمن طالوت أشرك جنده في عملية التّعبئة النّفسية، من ثمّ وجدنا فئة تظنّ أنّها ملاقية الله تقول «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله ما استوقفنا بشأن هذه الفئة الثابتة هو«ظنّها في ملاقاة الله»، أليس حريّا بها أن تستيقن مثلما هو مقتضى صريح الإيمان أنّ ملاقاة الله حتميّ وليس ظنّي ؟ إنّ كلمة « ظنّوا» إنّما تشير إلى لقاء الله بالشّهادة في خضم المعركة وقتال الكفار القادم وهو الأمر الذي لا يمكن قطعه يقينا وإنّما ائتماله ظنّا، وتلك من سمة المستيقنين.

3– خطابات قرآنيّة مشفّرة:

3–1 رسالة مشفّرة من امرأة:

في خبر موسى عليه السّلام نقل لنا القرآن لقاء موسى بفتاتين في صحراء مدين وفي استفسار موسى لهما نلمس نباهة إحداهن حين بيّنت السّبب لانعزالهما عن الرّعاة، جاء في خبر السّماء « **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ....**» [14] عفّة من الاختلاط وحفظ للشّرف، ثمّ أردفت« .... **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**»[15] استرعى انتباهنا من إحداهن قولها (شيخ كبير) ممّا يوحي لذوي الفهوم السّطحية أنّ مثلما هناك شيخا

كبيرا بالكاد هناك آخر صغيراً، لقد وصفت الرّاعية التي ستصبح لاحقا على أغلب الظّن ـ زوجة لموسى، أباها بأنّه شيخ كبير فكلمة كبير تعاكسها بالكاد لفظة صغير، فقد يلتبس الأمر في شكل الكبر والصّغر ها هنا، وقد يستحضر المُدارس للقرآن مثيلا لها ويتساءل لماذا لم تصف زوجة إبراهيم عليه السّلام زوجها بالكبير عشية نزول الملائكة ضيوفا عليه، يقصّ القرآن علينا الواقعة، أنّ الملائكة بشرت العائلة المضيافة بمولود وهو ما شّكل مفاجأة وصدمة للسّيدة زوجة إبراهيم جعلها تصكّ وجهها، وهي تردّد: «...**يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**»[16]، هكذا لفظة (شيخ) بدون صفة كبير، وهو النّبي والرّسول والخليل ومن أولي العزم، فحين نجد القرآن يصف لنا على لسان امرأة شيخا بوسم الكبير أمام موسى لم يُعرف عنه النّبوة ولا الإيمان ولا الصّلاح يحيلنا إلى نوعية الكبر فيه، لاشكّ أنّ موسى عليه السّلام يعرف خبر جدّه إبراهيم، ويعرف قدره وفضله ومكانته عند ربّه، فشاء الله أن يجري على لسان الفتاة خبر الرّجل فوصفته بالكبير ومنه فهم موسى أنّ الشّيخ والد الفتاتين كبيرا لقدر مؤمن من أصفياء الله بالولاية أو النّبوة فاطمأن قلبه واستجار به كما قص القرآن ذلك في الآيات اللاحقة بل وصار شريكا وصهرا وقرابة مباركة.

3–2 ـ الإيحاء بخبيئة النّفس:

ومع عبد الله موسى عليه السّلام دائما نلمس في تركيب قرآني آخر ما يدلّل على خبيئة نفس الفتاة، فلا شكّ أنّ الفتاة أعجبت بأخلاق موسى وأمانته، ونفهم من كلامها أنها رغبت فيه، من ثمّ كان يعسر في مجتمع ذلك العصر أن تبوح فيه الفتاة بمُنيتها وخبيئة نفسها تلك فألفيناها توحي بكلام مشفر تلقيه على مسامع ولي أمرها، فيتلقّفه الأب النّابه بابتسامة على غير علّاته جاء في خبرها:« **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** »[17] "القوي ـ الأمين " لفظتان جامعتان يكتمل بهما الرجل، وإذا صدرت عن أنثى فهي توحي بالإعجاب وتوحي برغبة يكبحها الخجل لذلك وجدنا في ردّ أبيها التـفاتاً تاماً يحقّق رغبة ابنته الفاضلة، هكذا بقوله:« .. **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**»[18].

4- مصطلح بين دلالتين:

4-1 صورة تبرّج الجاهلية الأولى والثّانية:

دعا الله نساء النبي عليه السلام وسائر المؤمنات إلى العفة والاحتشام،وتحصين النفس من الوقوع في المحظور، ناهيا إياهن عن التبرّج،وإظهار المفاتن،مثلما تبرجت نساء الجاهلية الأولى « **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**»[19]، ومنه ينصرف بنا الخطاب الربّاني إلى تخصيص فئة المؤمنات دون تبرج نساء جاهلية حدّدها بالأولى، ممّا يستلزم وجود جاهلية ثانية، فكيف هي سمة وصورة هذه الجاهلية الأولى، وهل النّهي عنها في ذلك إشارة إباحة في الثانية؟، بإمكاننا تحديد الميل إلى اعتقاد مفاده أنّ متبرجات الجاهلية الأولى ليست إلاّ تلكم الشّعوب الفطرية التي عرف عنها النّأي عن الاستتار الكلّي، ونزعم أنّ بقايا منها مشاهدة إلى اليوم في أدغال الأمازون وأحراش استراليا، بل ومنقول صورة وصوتا عن هؤلاء الأقوام، جاء في الجامع للقرطبي قول ابن عطية ما يؤكد هذا المذهب:«**وكان حال النّساء دون حجاب**»[20]، وهو ما يفيد أن الحجاب هو الاستتار،ونزعم أنه لا يقصد الأثواب ها هنا ،في حين ذهب مجاهد إلى اعتبار التبرج :«**تمشي النساء بين الرجال**» [21]، وهو توصيف قد لا يُسلّم به الكثيرون، قيل في التّبرج أنه مأخوذ لغة من البرج وهو ما استطال وعلا من البنيان، وذهب بعضهم قياسا إلى شعر المرأة المشدود إلى الأعلى، معلّما كالبرج، وذهب آخرون أنّه إظهار للعورات جميعها مستدلا بقوله تعالى:« **يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**».[22]، وإنزال اللّباس من لدن الخالق، إنما هو وحي وقضاء رباني، تستجيب له النّفس بالفطرة فتفزع مجبولة إلى الاستتار ومواراة السّوءة، مهما كانت معتقدات البشر ومشاربهم الدينية، الملفت هو في ورود لفظة الجاهلية بوسم جاهلية أولى

وجاهلية ثانية، وعلى ضوء ذلك نتساءل إذا كانت الأولى وردت في مقام التّحريم ،فهل جاءت الثانية في إشارة على الإباحة؟ علما وأنّ الجاهلية الثّانية هي تلكم التي قامت عليها الرّسالة المحمدية والتي دعت الى الاحتشام بنصوص قطعية يفهم منها أنّها خصّت تغطية الرّأس إلى الصّدر في صورة ضرب الخمار إلى الصّدر محلّ الجيب وإدنان الجلباب إلى موضع القدم، ولم تشر إلى العورة، قال تعالى آمرا الرسول صل الله عليه وسلم،«**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** »[23]، وقال في السّياق ذاته «**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**»[24]، ويستفاد من النّصين أنّ الجاهلية الثّانية التي قامت عليها رسالة الإسـلام تختلف عن الأولى في ستر العورة ، وأنها خُصّت بلباس التقوى، عكس الجاهلية الأولى التي أنزل في شأنها لباس يواري السّوأة وحسب. وعلى ذلكم يكون تبرج الجاهلية الأولى صُوَريًا يخصّ جسم المرأة، وأن تبرّج الجاهلية الثّانية معنويّ يخصّ سمت وسلوك المرأة.

4–2– الأولى والآخرة في دلالة التّكرار:

يقف المتدبّر لمعاني القرآن الكريم أمام قوله تعالى: «**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4)ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)**»[25] فيضطّرب عليه الفهم فيصرفه رأسا إلى دلالة تأكيد الله أن المشركين سيعلمون حقا ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنّ الحافظ القرطبي ذهب هذا المذهب جاء في تفسيره « **ثمّ كلا سيعلمون أي حقا ليعلمن صدق ما جاء به محمد . صلى الله عليه وسلم . من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت**»[26]، بل أنّ الضّحّاك الذي نقل عنه القرطبي أوقف العلم على المؤمنين وأنهم سيعلمون عاقبة تصديقهم وقال الحسن أنه وعيد بعد وعيد ، وبالنظر في بنية اللفظتين يتساءلون جاءت لتدلّ على كثرة التّساؤل وانتشاره بين الجميع، ولنا أن ندلي برؤية خاصة

في المعنى مفادها أنّ تكرار الآية جاءت لوقف العلم بالحقّ من لدن المشركين على فئة في الحياة الأولى وفئة في الحياة الآخرة، فالآية المكرورة مكيّة نزلت في بدايات الدّعوة وعليه جاءت الجملة القرآنية الأولى إعلاما للرسول الأعظم أنّ فئة ستعلم الحقّ وتصدّق به على ما فيها من عناد وشدّة عداوة وقد أخبرنا ابن هشام في السّيرة أنّ لفيفا من مشركي قريش جاءوا مذعنين طائعين مصدقين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولنذكر للمقام أبا سفيان وزوجه هند بنت عتبة، وغيرهما كثير والذي تخبر السّير أنّه نطق بفمه أنّه كان على ضلالة وفاته خير كثير، فقد أوثر عنه أنّه وقف على قبر حمزة وهو في طريقه إلى المدينة فترحّم عليه وقال فيه ـ رحمك الله أبا عمارة لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا، وعلى خلاف من ذلك نلمس في الجملة القرآنية الثّانية المكررة إيحاءً بأنّ فئة لقيت مصرعها قبل إكمال الرّسالة ستكون دون ريب قد علمت صدق ما كفرت به سواء في حياة البرزخ أو يوم الموقف ولنضرب بذلك مثلا بقتلى بدر من زعماء قريش، وهنا في زعمنا ـ يكمن سرّ تكرار قول الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ـ هذا إذا علمنا أنّ حرف العطف ثم يفيد التّعقيب والتّراخي في زمن الحدث.

4-3- بين خشية العين وحفظ العقيدة والتّوجّس من الاغتيال:

ولنعد بالزّمن الى الوراء لنستحضر سنة من سنوات القحط التي عاشها سيدان كريمان من أنبياء الله هما يعقوب وابنه يوسف عليهما السّلام فقد قصّ علينا الذّكر الحكيم في سورة هي من أحسن القصص خبرهما وكيفية معالجتها بعبقرية اقتصادية قل نظيرها، ولنا أن لا نعيد قصّة يوسف كاملة، فهي مفهومة ومفصلة بأحداثها تفصيلا أخّاذا، ولكن نقف عند وصية يعقوب عليه السّلام لأبنائه في رحلتهم الى المدائن حيث عزيز مصر يوسف عليه السّلام، ونتأمّل في وصية يعقوب عليه السّلام لهم والتي جاء فيها ما مفاده:« **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**»[27]، لا غرو أن كثرة الأبناء نعمة ونقمة في آن واحد توجس النفس منها خيفة، ولا شك أن رقيق القلب نبي الله يعقوب خشي العين على أبناءه، ففي ثنايا الوصية ما يوحي بتلكم الخشية، ولكن أليس من باب أولى أن ننزه نبيا كريما من التطيُّر وهو القدري الذي ترك أمره و أبناءه لله فالله في قلبه خير حافظا ؟ ثم ألا يمكن أن نفهم من نسيج

الآية أن الرجل خشي الاغتيال وفتنة الدين على أبنائه كونهم مؤمنين يدخلون مدائن الوثنيين؟ ثم على أيهما يخشى الأنبياء على أنفسهم العين أم الفتنة في الدين؟ لقد وجدنا ما يؤكد هذا المعنى مع أصحاب الكهف يوم وصى أحدهم آخر تكفل بإحضار الطعام «**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**»[28]، إنّه لعمري دليل على خشية الافتتان بالكفّار أكثر منه عين حاسد.

–محدّدات المصطلح القصديّة والدّلالية:

5–1– وسم على المؤقّت:

سمّى القرآن الكريم شريكة حياة الرجل بالزوجة وبالزوج وبالصاحبة وامرأة الرجل ، اللافت في التسمية وصف الخالق للشّريكة لفظة " الصاحبة "، قد يتبادر إلى الذّهن أنّ العلاقة هاهنا مؤقّتة وغير دائمة وفي هذا صواب إذا ما زانها بميزان العلائق البشرية الدّنيوية وما تعتريها من انكسارات، والقرآن يؤيّد تلك الصّحبة غير الدّائمة ولكن على شرط عقد نكاح مشروع دائم وإن تعسّر، ففكاك ودي يَزينه الود والإحسان.

جاء في جامع البيان للطبري" **معنى الصّاحبة تعني زوجته التي كانت زوجته في الدنيا** "[29]، وهو ما يفهم منه أنّ الآخرة قد تُديم هذه الصحبة أو تقطعها ونسلّم معه أنّ مصير الشريكين مرهون بافتراقهما إلى جنّة أو نار وفق زاد المعاد.

فقد يكون أحد الشّريكين من أهل النّار والآخر من أهل الجنّة جاء في الأعراف قول أهل النّار لأصحاب الجنة «**يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**»[30]، فالصّحبة منتفية بمصائر الأزواج ولفظ الصّاحبة قطعا ورد دقيقا يرسم علاقة هي من أعقد العلائق البشرية.

5–2– رؤية الله العينية في السياق والمقام :

دار الجدل بين علماء الكلام في مسألة رؤية الله عيانا قديما وحديثا استنادا لما جاء في نصّ قوله تعالى:« **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)**»[31]، ذهب فريق الى أنّ من تمام النعمة في

يوم الجزاء أن يزيد أهل الجنة تكريما فيتجلّى لهم ربهم فيرونه متحجّجين في ذلك في ما أوثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :« **عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قلنا يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صَحْوًا؟**»، **قلنا: لا، قال:** «**فإنكم لا تُضَارُّون في رؤية ربِّكم يومئذ، إلا كما تُضَارُّون في رؤيتهما**»[32]، وهو الأمر الذي ردّه فريق من المتكلمة كالمعتزلة، الذين أوقفوه على آية الكشف عن السّاق، ومتحجّجين بموقف مهيب ورد في القرآن الكريم عن نبي الله موسى عليه السّلام حين قال: «**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**» [33]، ومنه أستدل هؤلاء باستحالة الرؤية ولنا أن نقف عند قوله تعالى لنعتبر آية: «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » أنّها ليست بالرؤية العينية ولكنه موقف في مقام الرجاء وطلب المزيد ودليلنا في ذلك ماقالته ملكة سبأ لحاشيتها:«**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**»[34]، وهنا يتبدّى الموقف على دلالة الانتظار فالنظر هو الانتظار والرجاء استعلام وأنّ الإرجاع هو في مدلوله إعادة إلى الماضي والإرجاء تأجيل إلى المستقبل القادم، من هنا جاءت لفظة ناظرة مفتاحا لمعنى هذه الآية لتبيين أنّ أهل الجنّة بعد أن نفحتهم نسائمها أزهروا بالنّظارة ثم مدّوا أعناقهم ناظرين إلى ربهم عطاءات أخرى ورجاءات مستزادة.

و**نخلص** عقب هذا العرض الموجز إلى أن الألفاظ العربية في الذكر الحكيم جاءت بمثابة الأوعية الحاملة للمعاني ومفاتيح إلى تركيب القرآني المقدس في ظاهر معنى اللفظ وفي خفائه، وفي حقيقة انزياحه إلى دلالات أخرى، مشكلا نسيجا متين المبنى، سليم المعنى، وحقلا به يفك مجمل النص؛ وبه يسترشد متتبع المقاصد والأحكام غايته في الاستنباط والتأويل.

قائمة المراجع:

1- سورة النساء، الآية 4.

2- محمد بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي، 1299هـ، لسان العرب .، دار المعارف، تونس، ص 101.

3- الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان، 2012م، ط1، صحيح ابن حبان، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ص 6748.

4- سورة المائدة، الآية 75.

5- محمد بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي، 1299 هـ، لسان العرب، دار المعارف . تونس . ص5241 .

6- إسماعيل بن حماد الجوهري، 1987م، ط4، معجم الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان . ص191.

7- سورة الأنبياء، الآية 87.

8- عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، 1937م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث . القاهرة، ص 52 .

9- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 2010م، فتح القدير، وزارة الأوقاف السّعودية، ص 19 .

10- سورة الأنبياء، الآية 87 .

11- سورة الأنبياء، الآية 87.

12- سورة لقمان، الآية 13 .

13- سورة البقرة، الآية 249.

14- سورة القصص، الآية 23.

15- المصدر نفسه 23.

16- سورة هود، الآية 72 .

17- سورة القصص، الآية 26.

18- سورة القصص، الآية 27.

19- سورة الأحزاب، الآية33 .

20- عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، 2016م، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، ص 163.

21- المرجع نفسه . ص163

22- سورة الأعراف، الآية 26.

23- سورة الأحزاب، الآية 59.

24- سورة النور، الآية 31.

25- سورة النّبأ، الآيتان 4، 5.

26- عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، 2016م، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة العصرية . بيروت، ص148.

27- سورة يوسف، الآية 67 .

28- سورة الكهف، الآية 20.

29- محمد بن جرير بن يزيد الطّبري، 2013م، جامع البيان في تأويل القرآن، تر: أحمد إسماعيل شكوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص233.

30- سورة الحديد، الآية 09.

31- سورة القيامة، الآية 22.

32- أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، 2013م، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الرّسالة العالمية، بيروت، ص437.

33- سورة الأعراف، الآية 143.

34- سورة النّمل، الآية 35.

المصادر:

_القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المراجع:

1) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، 2013م، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الرّسالة العالمية، بيروت، لبنان.
2) إسماعيل بن حماد الجوهري، 1987م، ط4، معجم الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان .
3) الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان، 2012م،ط1، صحيح ابن حبان، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
4) عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، 1937م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث . القاهرة.
5) عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، 2016م، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
6) محمد بن جرير بن يزيد الطّبري، 2013م، جامع البيان في تأويل القرآن، تر: أحمد إسماعيل شكوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7) محمد بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي، 1299 هـ ، لسان العرب، دار المعارف . تونس .

8) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 2010م، فتح القدير، وزارة الأوقاف السّعودية. المملكة العربية السّعودية.